

[٢٨] العلاقات الزوجية

المفهوم: إن الأسرة هي دعامة المجتمع وهي الخنية الأولى تحية التي يتكون منها أفرادها وتتلاقى فيها خلاياه، والأسرة القائمة على أسس سليمة تصادرة من قيم فضلة لقائمة برسالتها خير قيام؛ هي تلك التي يردى الأب فيها أنه راعي قبيت وقيام على أمره فيه. وترى الأم أنها مسؤولة عن إدارة شئون البيت والأبناء، وعن غرس الفضائل الحميدة في نفوس أبنائها وتربيتهم التربية السليمة وتشتتهم للنشأة المستقيمة. ويرى الأبناء فيها ما ينبغي عليهم من القيام بواجباتهم والنهوض بالحياة سيراً على الجادة وطموحاً للمستقبل للزاهر والحياة السعيدة للمقبلة عليهم وهم في أمن نفسي، واستقرار أسري وهدى من الإسلام يؤمنون به ويسعون بتعاليمه. ويرى شلوت (دت: ١٥٩) إن الأسرة ابنة من لبنات المجتمع الذي يتكون من مجموعة أسر يرتبط بعضها ببعض. ومن الطبيعي أن البناء المكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنة من قوة وضعف، فكما كانت اللبنة قوية ذات تماسك ومناعة، كان المجتمع لمكون كذلك قوياً ذا تماسك ومناعة، وكما كانت اللبنة ذات ضعف وانحلال، كان المجتمع كذلك ذا ضعف وانحلال.

وقد نظم الإسلام العلاقات الأسرية تنظيماً دقيقاً محكماً، وجعل لها من الضوابط ما تصحيح به حياتها وتنظم به في حياتها الاجتماعية. وأول أفراد الأسرة وأولادهم بذلك إنما هما الزوجان؛ إذ هما الأصل الذي تصدر عنه علاقات الأبناء وتتعلق منه خطاهم في المجتمع. ولذا على الإسلام بحقوق كلا من للزوجين فجعل للرجل حقوقاً وعليه ولجبت وجعل للمرأة حقوقاً وعليها ولجبت. فالغاية المنشودة في الأسرة الإسلامية تركز في حياة لعمدة والسكينة والهدوء والطمأنينة، فسكن الزوجة إلى زوجها ويسكن للزوج إلى زوجته وتشرق بينهما حياة ظليلة تكتنفها لعمدة والرحمة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقد صان الإسلام حقوق للزوجة وحافظ عليها ودافع عنها: لما لها من أهمية قصوى في حياة الأسرة، فلها حقوقها من مهر ومأكل وملبس ومسكن ونفقة وغير ذلك؛ وليس في وصف الإسلام لها بأنها خلقت من ضلع أعوج ما ينقص من قيمتها. بينما كفل الإسلام حقوق للمرأة في جميع مراحل حياتها وفي كل أدوار تكوين الأسرة ولا يقل الوصف من قيمتها ولا يحط من منزلتها. ولذا فإن الحديث للنبي الشريف الذي ذكر وصف للمرأة بالموج؛ وقدم هذا الوصف لتأكيد الوصية بالنساء وجعل وصفهن بالموج سبباً للوصية ليكون الاحتمال الأسري والتماطف والمودة ثم أرفق كذلك بالوصية بالنساء. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فيتكلم بخير أو ليصمت، واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج شيء من الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً» [مسلم، ١٩٩٥: ١٠٩١]. كما أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. وبالإضافة إلى ذلك؛ يؤكد الإسلام حقوق للزوج بصورة حاسمة؛ فمن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أمرت أهدأ أن يسجد لأحد لأمرت للمرأة أن تسجد للزوجها من عظم حقه عليها» [أخرجه للترمذي]؛ ويؤكد الحديث هنا على أهمية الوصية بحقوق للزوج وطاعته وعدم إهمال حقه من قبل للمرأة فقد تعرض لها أسباب أو تخدعها مغريات فتهمل في حقه أو تقصر في طاعته وقد تتغير به الأيام وقد يتغير اليمر إلى عسر، وقد تتغير الصحة إلى مرض فأحداث الحياة كثيرة وتقلباتها متحدة لا تقع تحت حصر، لذا لا ينبغي أن تعرض العلاقة الزوجية لهذه المؤثرات؛ فمتلما يطالب الرجل بحقوق المرأة فإن المرأة مطالبة بحقوق للرجل فمن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية القرآنية للكرامة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ كبر ذلك على للمسلمين فقال عمر: أنا أفرج عنكم؛ فاطلق فقال: يا نبي الله أنه كبر على أصحابك

هذه الآية؛ فقال رسول الله ﷺ: "إن الله يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وغنما فرض المواريث لتكون لمن بعنكم" فكير عمر، ثم قال له الرسول ﷺ: "إلا أخبرك بخير ما يكتز المرء؛ للمرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها طاعته، وإذا غاب عنها حفظته".

ومن لواجبات على المرأة أن تحفظ مال زوجها، وإذا أنفقت في غير إفساد كان لها أجرها على الإنفاق ولزوجها أجره بما كسب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيت زوجها غير مفسدة فلها أجرها بما أنفقت، وللزوج بما اكتسب وللخازن مثل ذلك، ولا ينقص أجر بعضهم من أجر بعض شيئاً" [أخرجه مسلم]. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: "أليما امرأة ماتت زوجها عنها راض نخلت الجنة" [رواه الترمذي]. ويعد الإسلام رضا الزوج من أهم أسباب دخول المرأة للجنة، ولكن ينبغي تقييد هذا الرضا حيث لا يتعارض في أمور لتنين فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما المقصود برضا الزوج على امرأة هو حسن معاملتها وأنها ولتزامها بمبادئ الإسلام التي قررها للحياة الزوجية التي تشرق بالمودة ولونم والتفاهم والانسجام وتتجاوب فيها للمواقف المخلصة إلى أنبل المقاصد وأسمى الأهداف الكريمة.

وعليه تقوم العلاقة بين الزوجين على السكن والمودة والرحمة، فقال ﷺ: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [الروم: ٢١]؛ وتقوم على المساواة في الحقوق والواجبات «وَأَمَّا لِلنَّسَاءِ وَالرِّجَالِ مَثَلٌ مِمَّا كَسَبُوا وَكَانَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ كَرِهَتْهُنَّ فَأَسَى أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» [النساء: ١٩]؛ ويرتفع للقرآن بالحياة الزوجية إلى مقدم الإحسان في المعاملة، ولا يرضى لها أن تقوم إلا على الفضل، حتى في حالة الفراق (الطلاق) مَرْتَكِبَانِ فَمِنْهَا بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ [البقرة: ٢٢٩]، «وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَبْتُمْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتُونَ لَوْ يَعْتُونَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ نِكَاحٍ وَأَنْ تَعْتَوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ لِلَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» [البقرة: ٢٣٧].

كما لا تقوم للعلاقة في الأسرة على أساس المصلحة المادية ومنطق الربح والخسارة؛ إنما تقوم على قبيل والرعاية من الآباء، وعلى الطاعة والبر والإحسان للأبوين بعبادة الله، وشكرهما بشكره، اعترافاً بفضلهم، وضمناً لهما من الإهمال والضياع في كبرهما، ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع للأسرة «وَقَسَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقَرْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَلَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى صَغِيرًا» [الإسراء: ٢٣-٢٤]؛ «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ شَكَرْ لِي وَكَوَلِّدَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ شَكَرْ لِي وَكَوَلِّدَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» [القمان: ١٤].

وعلى لجانب الآخر؛ إن قيام الحياة الزوجية على الشك والريبة من شأنه إفساد جو الأسرة ويهددها بالتفكك والانحيار، ومن هنا فقد شدد النبي الكريم ﷺ على عدم التعريض بالزوجة؛ فعن أبي هريرة روى أن رسول الله ﷺ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وأني أنكرته، فقال له النبي ﷺ: هل لك من إيل، قال: نعم، قال: ما أولئها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم، قال: فأني كان ذلك؟ قال: أراه عرق نزعاً. قال: فلعل لبنك هذا نزعاً عرق [أخرجه البخاري]. ومما لا شك فيه، أن عدم

التوافق بين الزوجين يؤدي إلى التصدع الأسري، الذي بدوره ينعكس على الصحة النفسية للأبناء، فإن عدم التوافق له آثار سلبية كثيرة على النمو النفسي للطفل؛ وعدم الكفاءة، وانخفاض الطموح وقلة الرغبة في العمل والإنجاز، وضعف التحصيل الدراسي، واضطراب العلاقة بالزملاء والمدرسين وسوء التوافق النفسي والاجتماعي.

القياس: قام باريت - لينارد Barrett-Lennard (١٩٦٢) بتصميم قائمة العلاقات الزوجية Barrett-Lennard Marital Relationship Inventory لقياس التوافق الزوجي؛ وهي مكونة في صورتها المبنيّة من (٩٢) عبارة لقياس المتغيرات التالية: مستوى الاحترام Level of Regard، والرغبة في أن يكون معروفاً، Willingness to be Known، والتفاهم العاطفي Empathic Understanding، والانسجام Congruity، وعدم وجوب الاحترام Unconditionality of Regard، وقد اشتقت هذه العبارات من خلال المقابلات على مجموعة من المتزوجين والمتزوجات المترددين على بعض العيادات النفسية من أجل طلب النصح والإرشاد في بعض المشكلات التي تقابلهم. وقد تمت تعريب قائمة العلاقات الزوجية إلى اللغة العربية (السوقي، ٢٠٠٣).

الصدق: تم حساب الصدق الداخلي لقائمة العلاقات الزوجية من خلال عدة بحوث (Gross, et al., 1976; Lin, 1971). كما قام جاكوب وآخرون (Jacop, et al. ١٩٨٠) ببيجاد الصدق العملي للقائمة، ومن أجل تحقيق ذلك، تم حذف (١٦) عبارة من عبارات القائمة لأنها غير ملائمة للتطبيق على المتزوجين والمتزوجات، ومن ثم بقي من عبارات القائمة (٧٦) عبارة موزعة على النحو التالي: (١٧) عبارة لقياس مستوى الاحترام؛ و(١٥) عبارة لقياس التفاهم العاطفي؛ و(١٦) عبارة لقياس وجوب الاحترام؛ و(١٣) عبارة لقياس الرغبة في أن يكون معروفاً. وتتم الاستجابة على هذه العبارات وفقاً لميزان تقدير مكون من خمسة موازين؛ هي: أوافق بشدة؛ أوافق؛ متردد؛ غير موافق؛ غير موافق بشدة. وتم تطبيق القائمة بعد حذف العبارات على عينة مكونة من ٢٦٤ متزوجاً (المتوسط الحسابي لأعمارهم = ٣١ سنة، والاحتراف المعياري = ٩,٠٠)؛ و٢٥٩ متزوجة (المتوسط الحسابي لأعمارهن = ٢٩ سنة؛ والاحتراف المعياري = ٨,٦). وانتهى التحليل العملي إلى عاملين، حيث تشعب على العامل الأول (٣٣) بنداً، وتشعب على العامل الثاني ثمانية بنود.

وإلى جانب هذا، قامت السوقي (٢٠٠٣) بصواب الصدق الداخلي لقائمة العلاقات الزوجية، وذلك من خلال تطبيقها على عينة مكونة من أربعين زوجة.

الثبات: تم حساب الاتساق الداخلي لقائمة العلاقات الزوجية باستخدام طريقة لتجزئة نصفية من خلال أربعة عشر دراسة، وقد تروحت معاملات الثبات بعد التصحيح من ٠,٧٤ إلى ٠,٩١؛ كما أمكن حساب ثبات القائمة باستخدام طريقة إعادة الاختبار من خلال عشر دراسات؛ فتروحت معاملات الثبات من ٠,٨٠ إلى ٠,٨٥ (Gurman, 1977). وإلى جانب هذا، قامت السوقي (٢٠٠٣) بحساب ثبات القائمة باستخدام معامل ألفا لكرونباخ، فبلغ ٠,٧٦.



قائمة للعلاقات للزوجية^(*)

غير موافق بشدة	غير موافق	متربد	أوافق	أوافق بشدة	العبارات
()	()	()	()	()	١- زوجي يحترمني
()	()	()	()	()	٢- يحاول زوجي أن يرى الأشياء كما أراها
()	()	()	()	()	٣- يفهم زوجي كلامي ولكنه لا يحاول أن يفهم مشاعري.
()	()	()	()	()	٤- يحدثني زوجي عن آرائه ومشاعره أكثر مما أريد معرفته
()	()	()	()	()	٥- يكون زوجي عصبياً ومتوتراً عندما أتكلم أو أسأل عن أشياء معينة
()	()	()	()	()	٦- يفضل زوجي أن لا يتحدث عن نفسه
()	()	()	()	()	٧- لا يستطيع زوجي أن لا يتحدث عن نفسه
()	()	()	()	()	٨- زوجي غير مكترث بي
()	()	()	()	()	٩- يقول زوجي أشياء كثيرة عن نفسه أكثر مما أريد سماعه
()	()	()	()	()	١٠- يستجيب زوجي لي بطريقة سلبية خاصة إذا كانت مشاعري نحوه سلبية
()	()	()	()	()	١١- لا يريد زوجي أن يفهمني بسبب اتجاهاته السلبية نحوي
()	()	()	()	()	١٢- يشعر زوجي بعدم الارتياح عندما أتنازل في شئونه الخاصة
()	()	()	()	()	١٣- يشعر زوجي بأنني مملة وغير جذابة
()	()	()	()	()	١٤- زوجي أهل للثقة
()	()	()	()	()	١٥- أحياناً ما يكون زوجي دقيقاً في علاقته معي وبارداً في أوقات أخرى
()	()	()	()	()	١٦- يتحدث زوجي عن أفكار أو مشاعر لا تثير اهتمامي مطلقاً
()	()	()	()	()	١٧- نادراً ما يبوح زوجي عن أفكاره ومشاعره الخاصة.
()	()	()	()	()	١٨- كثيراً ما يتسامح زوجي معي
()	()	()	()	()	١٩- يمثل زوجي ركناً أساسياً في حياتي
()	()	()	()	()	٢٠- لا يبالي زوجي لما يحدث لي

(*) يمكن تحويل العبارات إلى صياغة للتأنيث، بحيث يتناسب تطبيقها مع الزوج.

غير موافق بشدة	غير موافق	متردد	أوافق	أوافق بشدة	العبارة
()	()	()	()	()	٢١- لا يدرك زوجي حقيقة مشاعري نحو بعض الأشياء
()	()	()	()	()	٢٢- يستجيب زوجي استجابة ظاهرية نحوى تختلف عن استجابته الحقيقية
()	()	()	()	()	٢٣- مشاعر زوجي غير مستقرة في معظم الأحيان ...
()	()	()	()	()	٢٤- يقدر زوجي منزلتي
()	()	()	()	()	٢٥- يستجيب زوجي لي بطريقة ميكانيكية آلية
()	()	()	()	()	٢٦- يهتم زوجي بنفسه أكثر من اهتمامه بي
()	()	()	()	()	٢٧- زوجي يكرهني
()	()	()	()	()	٢٨- يعاملني زوجي بصدق وإخلاص
()	()	()	()	()	٢٩- لا يبوح زوجي عن مشاعره نحوى
()	()	()	()	()	٣٠- أحياناً ما يكون زوجي متوتراً ولكنني أحاول عدم التعليق على هذا
()	()	()	()	()	٣١- يعبر زوجي عن مشاعره تجاه أي عمل أقوم به ..
()	()	()	()	()	٣٢- يشعر زوجي بمودة كبيرة نحوى
()	()	()	()	()	٣٣- لا يخفي زوجي أفكاره ومشاعره الخفية عني ...
()	()	()	()	()	٣٤- يستجيب زوجي دائماً نحوى بكل نفاء واهتمام ..
()	()	()	()	()	٣٥- يحاول زوجي أن يحترم رغباتي الخفية
()	()	()	()	()	٣٦- يعرف زوجي دائماً بالضبط ماذا أقصد
()	()	()	()	()	٣٧- كثيراً ما يكون زوجي الوفاً ورفيقاً معي
()	()	()	()	()	٣٨- يكون زوجي مطمئناً ومرتاحاً في علاقته مع الآخرين
()	()	()	()	()	٣٩- يقدرني زوجي مهما حاولت للتقليل من شأنى
()	()	()	()	()	٤٠- عادة ما يفهم زوجي كل ما أريد أن أقوله
()	()	()	()	()	٤١- يحترمني زوجي حتى ولو كنت حادة الطباع معه.

